

القبلة في مساجد مدينة نابلس Qibla in the Mosques of Nablus City

خالد قمحية

قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

بريد إلكتروني: khaled@najah.edu

تاريخ التسليم: (٢٠٠٥/٥/٢)، تاريخ القبول: (٢٠٠٦/٢/٢٦)

ملخص

القبلة هي الاتجاه نحو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، حيث يجب على كل مسلم أن يتجه إليها في صلاته. وفي المساجد تعرف القبلة بجدار القبلة الذي يحتوي على تجويف يدعى المحراب. هذه الورقة ستعتمد إلى بيان أهمية القبلة وطرق تحديدها، وضرورة استقبالتها، وستطرق إلى مشكلة القبلة في مساجد مدينة نابلس، حيث قام الباحث بعمل دراسة ميدانية، أشارت إلى أن القبلة المعتمدة في معظم هذه المساجد لا تتجه بشكل صحيح إلى مكة. فتبين أن قبلة المساجد التاريخية القديمة تنحرف بمعدل ٢٦.٤ درجة نحو الغرب، في حين تنحرف قبلة المساجد الحديثة بمعدل ١٧.١ درجة نحو الغرب أيضاً. كما تبين أن قبلة المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦ أكثر دقة، رغم انحرافها بمعدل ٣.٧ درجة ولكن نحو الشرق. كما ستحلل هذه الورقة الأسباب الرئيسية وراء هذا الانحراف في اتجاه القبلة في مساجد مدينة نابلس وستخلص إلى أفضل الطرق للتغلب على هذه المشكلة.

Abstract

Qibla is the direction to Mecca, more specifically to the Kaaba, towards which each Muslim must face in order to perform his daily prayer. In a mosque, the Qibla is identified by the Qibla wall which contains a niche; or what is called, Mihrab. This paper lists many methods used to determine the Qibla in general, and then elaborates on the Qibla problem found in Nablus mosques. A field study indicated that most of the Nablus mosques are not directed correctly towards Mecca. The traditional mosque buildings have an average deviation of 26.4 degrees towards the west; the most recent mosques have 17.1 degrees also towards the west. Mosques built by 1996, have the most accurate qibla, with average deviation of 3.7 degrees, but towards the east. This paper discusses the main reasons that stand behind these deviations in qibla, and then concludes with the most acceptable ways to handle this problem.

١ تعريف القبلة

القبلة هي الاتجاه بأقصر المسارات نحو الكعبة المشرفة المبنية في مكة المكرمة بأبوالأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم). وهي عبارة عن بناء مكعب الشكل تقريبا، طوله ١٢.١٩ مترا وعرضه ١٠.٦٧ مترا وبارتفاع ١٥.٢٤ مترا، تغطي بقماش حريري اسود مخطوط عليه آيات مذهبة، يدعى الكسوة، ويتم تغييره سنويا. والمسلمون مطالبون بالتوجه نحو الكعبة المشرفة امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى:



شكل (١): صورة الكعبة المشرفة (<http://i-cias.com/e.o/qibla.htm>)

"قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الطين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون" (سورة البقرة الآية ١٤٤).

فعلى المسلمين في أي بلد تحري القِبلة والتوجه إليها في صلاتهم كشرط من شروط صحة الصلاة واستقبال القِبلة فريضة لا تسقط إلا في صلاة النفل للراكب وصلاة المكره والمريض والخائف (سابق، ١٩٧٣، ج ١، ص ١٣٠). واستقبال القِبلة من تمام إسلام المرء كما يستفاد من الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما يحرم دم العبد وماله؟" فقال من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم" (البخاري، ١٩٨٧، ج ١، ص ١٥٣). كما يستحب استقبال القِبلة في العديد من النشاطات اليومية في حياة المسلم، وخاصة في فضائل الأمور كالدعاء وحال نومه، وعند ذبحه الأضحية، وعند موت المسلم يستحب دفنه مستقبلاً القِبلة. أما في حال المكاره كالخروج إلى الخلاء فيستحب تجنب القِبلة. إن وحدة المسلمين ضرورة تستدعي تنسيق صفوفهم وتوجههم في الصلاة نحو قبلة واحدة، وإلا ساد الهرج والفضى، وتفرقت الصفوف وتشتتت القلوب. أضف إلى ذلك أن الكعبة، التي جعلت قبلة للمسلمين، هي بقعة مقدسة، والتوجه نحوها يوقظ في النفوس ذكريات المسيرة التوحيدية.

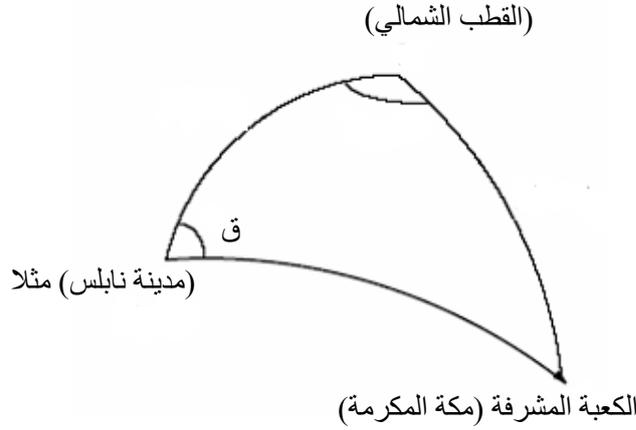
٢ طرق تحديد القِبلة

علمنا أن اتجاه القِبلة هو اتجاه الكعبة الشريفة في مكة المكرمة بالجزيرة العربية، وعلى المسلم أن يعرف اتجاه القِبلة في المكان الذي يوجد فيه حتى يستقبلها، أي أن يتجه نحوها كلما أراد أن يصلي. ولقد عرف العرب بمقدرتهم العظيمة في تحديد الأماكن والجهات من تجاربهم الطويلة في تجوالهم وسفرهم عبر العصور القديمة في الصحراء بوساطة النجوم ليلاً، وظل الشمس نهاراً، ولقد سجل لهم العلم العديد من الاختراعات ذات الصلة كالمزولة الشمسية لتحديد الوقت والإسطرلاب لتحديد الأماكن والاتجاهات، وفيما يلي سرد سريع لعدد من الطرق الممكن اتباعها في تحديد القِبلة أو التأكد منها، وهي على نوعين:

١.٢ طرق للمختصين

وهي طرق علمية بحاجة إلى معرفة ودراية بعلم الفلك أو حساب المتثلثات أو كرة النجوم وقرصها أو القدرة على استخدام التجهيزات الملاحية والخرائط الجغرافية، وهذه الطرق هي:

١.١.٢ استخدام قوانين حل المتثلث الكروي: وذلك أن الكعبة وأي بقعة من العالم، إضافة إلى موقع القطب الشمالي تشكل مثلثاً كروياً كما في الشكل التالي:



شكل (٢): يوضح المثلث الكروي المستخدم في تحديد اتجاه القبلة. (المصدر: (Abdali, 1997, p. 17))

القانون التالي يستخدم في تحديد اتجاه القبلة:

جا(ط م - ط)

$$\frac{\text{جا}(\text{ط م} - \text{ط})}{[\text{جتا}(\text{ع}) \times \text{ظا}(\text{ع م})] - [\text{جا}(\text{ع}) \times \text{جتا}(\text{ط م} - \text{ط})]} \quad \text{ق} = \text{ظا} - ١$$

حيث إن: ق = زاوية اتجاه القبلة.

- ع = خط عرض المنطقة المطلوب تحديد قبلتها.
 ط = خط طول المنطقة المطلوب تحديد قبلتها.
 ع م = خط عرض مكة المكرمة (٢١.٤٢ درجة شمال خط الاستواء).
 ط م = خط طول مكة المكرمة (٣٩.٨٢ درجة شرق خط جرينتش).

٢.١.٢ استخدام "مخطوط ويرز": وفيها يتم توقيع خط عرض الكعبة الشريفة على خط الأساس على تدرج ميل الجرم السماوي (<http://mmsec.com/mail.htm>).

٣.١.٢ استخدام "كرة النجوم": ويستخدمها الملاحون أثناء إبحارهم، وهي طريقة سريعة ودقيقة لتحديد اتجاه القبلة، يتم بها تحديد موقع الكعبة الشريفة بضبط خط عرض الكعبة الشريفة على موازيات الميل على كرة النجوم وخط طول الكعبة الشريفة (<http://mmsec.com/mail.htm>).

٤.١.٢ استخدام " قرص النجوم"، يتم تحديد موقع الكعبة الشريفة بنفس الطريقة التي تمت على كرة النجوم بتوقيع خط عرض الكعبة الشريفة على موازيات الميل للجرم السماوي، وخط طول الكعبة الشريفة بالنسبة لموقع الراصد (<http://mmsec.com/mail.htm>).

٥.١.٢ استخدام الأجهزة الملاحية، مثل جهاز تحديد الموقع بوساطة الأقمار الصناعية، حيث يتم تخزين موقع الكعبة الشريفة في ذاكرة كمنقطة مرجعية ويتم تحديد اتجاه القبلة ومسافة هذه النقطة باستخدام طريقة السير على الدائرة العظمى.

٢.٢ طرق لعامة المسلمين

يمكن لأي مسلم اتباع الطرق التالية بسهولة ويسر، دونما حاجة إلى أن يكون ذا خلفية علمية أو صاحب خبرة عملية:

١.٢.٢ استخدام ظاهرة تعامد الشمس على الكعبة الشريفة، فعندما تتعامد الشمس على مكة المكرمة يكون اتجاه الشمس في هذه اللحظة في أي مكان يمكن أن ترى منه الشمس هو اتجاه القبلة المطلوب، والشمس تتعامد على الكعبة الشريفة مرتين سنوياً، وذلك حينما يكون ميل الشمس مساوياً لخط عرض الكعبة الشريفة، وأثناء مرورها الزوالي فوق الكعبة الشريفة (لحظة أذان الظهر بمكة المكرمة). يكون ذلك سنوياً في الوقتين التاليين:

- ٢٨ أيار في الساعة ١٢ ظهراً و١٧ دقيقة و٥٢.٨ ثانية.

- ١٦ تموز في الساعة ١٢ ظهراً و٢٦ دقيقة و٤٠.٨ ثانية.

وذلك حسب توقيت مكة المكرمة المحلي. أما في نصف الكرة الأرضية المقابل الذي يستحيل رؤية الشمس به في الوقتين السابقين، فيمكن للمسلمين مراقبة الشمس حال تعامدها على النقطة المقابلة للكعبة من الكرة الأرضية في الوقتين التاليين:

- ٢٨ تشرين الثاني في الساعة ١٢ ليلاً و٩ دقائق.

- ١٦ كانون الثاني في الساعة ١٢ ليلاً و٢٩ دقيقة.

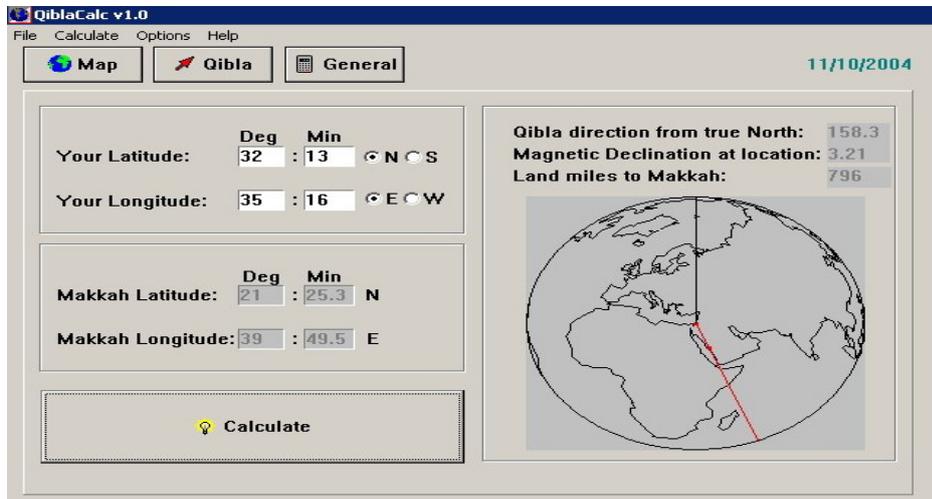
وذلك حسب توقيت مكة المكرمة، واتجاه القبلة يكون حينها بان يتجه المسلم باتجاه ظله، جاعلاً الشمس خلف ظهره (<http://moonsighting.com/qibla.html#moon>).

٢.٢.٢ استخدام ظاهرة تعامد القمر على الكعبة الشريفة، في تواريخ محددة ولكن متغيرة يتعامد القمر فوق الكعبة المشرفة، فإذا تمكن المرء من مشاهدة القمر في تلك اللحظة، فإنه حينئذ متوجه إلى القبلة. علماء الفلك يحددون هذه المواقيت ومن ثم يتم تعميمها على المسلمين للاستفادة منها في معرفة اتجاه القبلة الصحيح، كان آخرها للعام ٢٠٠٤ هو في يوم ٢٣ كانون الأول الساعة العاشرة مساءً وأربع دقائق بتوقيت مكة المكرمة.

٣.٢.٢ **خريطة الصلاة** التي رسمها المركز الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي توضح اتجاه القبلة بالزوايا في جميع أنحاء العالم.

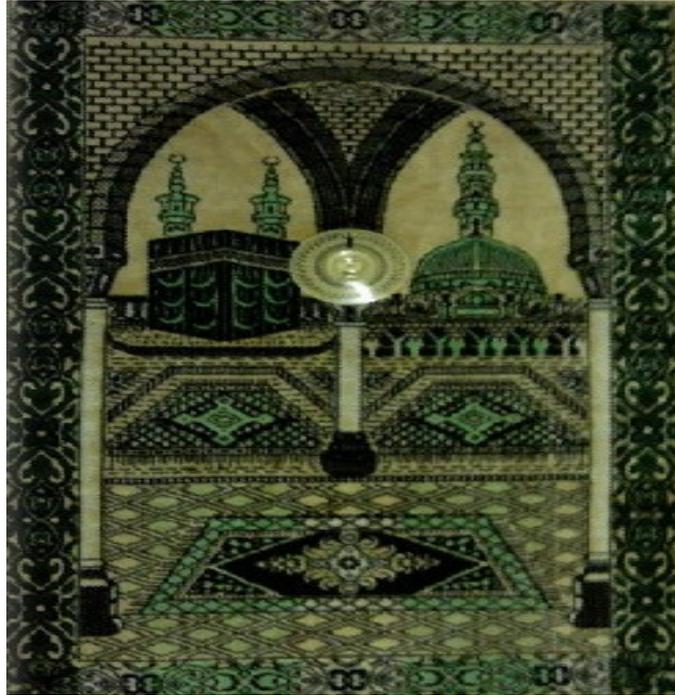
(<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/scince-17/scince.asp.htm>)

٤.٢.٢ **برامج حاسوب خاصة بتحديد القبلة**، البرنامج الموضح في الشكل رقم (٣) يوضح صورة لأحد هذه البرمجيات ويدعى (QiblaCalc v1.0)، وبه يتم ربط إحداثيات الكعبة (خط عرض ٢١ درجة و ٢٥.٣ دقيقة شمالاً وخط طول ٣٩ درجة و ٤٩.٥ دقيقة شرقاً) والمخزنة مسبقاً بالبرنامج مع إحداثيات أي بلد يراد معرفة القبلة فيه، فمدينة نابلس، على سبيل المثال، ذات الإحداثيات: (خط عرض ٣٢ درجة و ١٣ دقيقة شمالاً وخط طول ٣٥ درجة و ١٦ دقيقة شرقاً). وعن طريق هذا البرنامج تبين أن زاوية القبلة في نابلس تميل ١٥٨.٣ درجة عن الشمال الحقيقي. كما يوضح هذا البرنامج بالصورة خريطة تبين المكان المطلوب تحديد قبليته والخط الواصل بينه وبين مكة المكرمة مع اتجاه الشمال الحقيقي وليس الشمال المغناطيسي، كما يحدد الزاوية بينهما والتي كانت في حالة مدينة نابلس ٣.٢١ درجة، كما في الشكل رقم (٣) التالي.



شكل (٣): يبين بالرسم والأرقام زاوية اتجاه القبلة في مدينة نابلس (الباحث).

٥.٢.٢ **بوصلة القبلة**: والمزودة في سجادة صلاة خاصة تمتاز بسهولة استخدامها ودقتها المعقولة، فيمكن للمسلم حملها معه في حله وترحاله. مرفق مع هذه البوصلة كتيب للتعليمات تقتضي بأن يتم توجيه إبرة البوصلة (والتي تحدد اتجاه الشمال المغناطيسي) إلى ترقيم محدد وخاص لكل بلد يراد تحديد قبليته، فمثلاً في فلسطين على المسلم توجيه هذه الإبرة أو مؤشر الشمال لينطبق على رقم ٢٢٥ وعندها تكون وضعية السجادة في اتجاه القبلة المطلوب، انظر الشكل رقم (٤).



شكل (٤): سجادة الصلاة ذات بوصلة القبلة (تصوير طلبة قسم الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية).

٣. أهمية القبلة في المساجد

يعد اتجاه القبلة من أهم العناصر التصميمية للمساجد. وبما أن الصلاة من أهم الفعاليات والشعائر العديدة التي تقام في المساجد، وصلاة الجماعة بشكل أساسي واجبة على الرجال من المسلمين دون النساء، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: "عن أبي هريرة، رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أختلف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرفاً سمينا أو مرامتين حسنتين لشهد العشاء" رواه البخاري (البخاري، ١٩٨٧، ج١، ص ٢٣١). ومن هذا الهدي النبوي يتبين أهمية صلاة الجماعة في المسجد. وصلاة الجماعة لا تكون إلا بإمام يقود الصلاة، ويتبعه المصلون من خلفه. ويجب على المصلين أن يترأصوا في صفوف مستقيمة متجهين صوب القبلة. وحيث أن الصف الأول هو أفضل صفوف الرجال، كما ورد في الحديث الصحيح: "عن أبي هريرة، رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" (أبو داود، دت. ج ١، ص ٢٣٨)، لما في ذلك من بعد الرجال في الصف الأول عن النساء ومظنة المخالطة بهم. وبناء عليه، يستحب، عند بناء المساجد، إطالة الصفوف على زيادة عددها، وهذا ما يلاحظ في المساقط الأفقية لغالبية المساجد، أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي يلعبه اتجاه القبلة في تخطيط المدينة الإسلامية والأثر الذي يتركه في تخطيط الطرق المحيطة بالمساجد فيها. ويعمل بجدار القبلة؛ وهو الكائن أمام المصلين، تجويف يقوم به الإمام؛ حتى لا يحتل وحده صفا كاملا. وهذا التجويف يدعى المحراب، وألحق به فيما بعد منبر الخطابة، وهو منصة مرتفعة يقف عليها الخطيب في صلاة الجمعة والعديد، بحيث يراه المصلون. إذن، فاتجاه القبلة وما يرتبط به من جدار القبلة، والمحراب، والمنبر، له عظيم الأثر في تصميم المساجد وتفاصيل أهم عناصرها المعمارية.

٤. مشكلة القبلة في مساجد مدينة نابلس

نتيجة للبحث الميداني الذي تم على ثلاثة وخمسين مسجدا من مساجد مدينة نابلس، تبين وجود انحراف ليس بالقليل في اتجاه جدار القبلة وموقع المحراب، في غالبية المساجد التي تم دراسة قبلتها. ويبين الجدول رقم (١) نتائج البحث بالتفصيل بناءً على المخطط العام للمدينة، وقرارات اتجاه القبلة المرصودة عن طريق استخدام سجادة الصلاة المزودة ببوصلة القبلة، (أنظر البند ٥.٢.٢) التي دخلت إلى المنطقة في منتصف تسعينيات القرن الماضي عن طريق حجاج بيت الله الحرام، حيث قاموا بإحضار مثل هذه السجاجيد كهدايا مما ساهم في زيادة الوعي العام، والاهتمام بتحديد اتجاه القبلة الصحيح، والعمل على تصحيحها في مساجدهم، وكذلك تحريها بدقة في بيوتهم وأماكن عملهم. ومن هذه النتائج يتبين ما يلي:

١. وجد أن عشرة مساجد فقط (تشكل ١٩% من عدد المساجد المدروسة) قبلتها صحيحة ولا يوجد بها أي مشكلة، علما أن مسجدين من هذه المساجد قد تم تصحيح قبلتهما، وهما مسجد أبو بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية ومسجد فاطمة الزهراء في المساكن الشعبية الغربية (المخفية)، بعد أن كان بهما انحراف يقارب خمسا وأربعين درجة.
٢. وجد أن اثني عشر مسجدا (٢٣%) يوجد بها انحراف قليل لا يتجاوز خمس درجات عن القبلة الصحيحة، من بينها مسجد اعتدال الخزندار الذي تم تصحيح قبلته بعد أن كان به انحراف أربعين درجة عن القبلة الصحيحة.
٣. وجد أن سبعة مساجد (١٣%) يوجد بها انحراف متوسط بمعدل إحدى عشرة درجة عن القبلة الصحيحة، من بينها مسجد الأنبياء الذي تنحرف قبلته المعدلة حاليا بتسع درجات، حيث نلاحظ أن جدار القبلة الذي ما زال قائما على وضعه القديم به انحراف ٣٦.٦ درجة.
٤. وجد أن أربعاً وعشرين مسجداً (٤٥%) يوجد بها انحراف كبير بمعدل اثنتين وثلاثين درجة عن القبلة الصحيحة.

جدول (١): يبين زاوية القبلة في عدد من مساجد مدينة نابلس (من قبل طلبة قسم الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية، وسنة تأسيس المساجد من دائرة آثار نابلس)

اسم المسجد	القبلة الحالية	الانحراف	التأسيس	الموقع
1 الكبير	195	٢.٥-2	1187	البلدة القديمة
2 النصر	185	-40	1187	البلدة القديمة
3 البيك	175	-45	١١٨٧	البلدة القديمة
4 الحنبلي	175	-45	مملوكي	البلدة القديمة
5 التينة	200	-22.5	تركي	البلدة القديمة
6 الأنبياء	١٨٥	٣٦.٦-	تركي	البلدة القديمة
7 الخضراء	215	-9	١٢٧٩	البلدة القديمة
8 الساطون	180	-37	1285	البلدة القديمة
9 الحاج نمر النابلسي	190	-31.5	1938	شارع فيصل
10 بلاطة البلد القديم	200	-22.5	1950	بلاطة البلد
11 مخيم بلاطة القديم	220	-4.5	1950	مخيم بلاطة
12 مصعب بن عمير	230	4.5	1950	مخيم عسكر
13 الحاجة عفيفة ملحس	190	-31.5	1963	بليبوس
14 الحاج معزوز المصري	205	-18	1963	شارع فيصل
15 الروضة	205	-18	1963	رفيديا
16 الإمام علي	210	-13.5	1968	المقبرة الغربية
17 عجعج	185	-36	1976	رأس العين
18 عقبة بن نافع	165	-54	1977	شارع الحمراء
19 عاشور	160	-58.5	1977	كرم عاشور
20 أمين أبو زنت	225	0	1978	الضاحية
21 عمر بن الخطاب	225	0	1978	نهاية شارع السكة
22 عراق التايه	230	4.5	1979	عراق التايه
23 رفيق فتوح	205	-18	1981	شارع القدس
24 أبو بكر الصديق	225	0	1982	المساكن الشعبية الشرقية
25 خالد بن الوليد	190	-31.5	1983	جسر التيتي
26 السلام	205	-18	1983	شارع الأمير محمد
27 فاطمة الزهراء	175	-45	1984	المخفية
28 نور الدين زكي-الغمامة	195	-27	1984	شارع ٢٤
29 صلاح الدين الأيوبي	195	-27	1985	أول طلعة الطور

... تابع جدول رقم (١٠)

اسم المسجد	القبلة الحالية	الانحراف	التأسيس	الموقع
30 الجنيد	240	13.5	1986	الجنيد
31 عز الدين القسام	225	0	1989	المعاجين
32 عائشة أم المؤمنين	225	0	1989	شارع الورش مقابل شارع زبلج
33 عبد الرحمن بن عوف	225	0	1989	خلة الرهبان
34 أسامة بن زيد	230	4.5	1989	شارع الحرش
35 طارق بن زياد	180	-40.5	1990	شارع ١٠
36 الشهداء	235	9	1990	فرب الجامعة
37 النور	190	-31.5	1992	أول شارع تل
38 عثمان بن عفان	225	0	1992	شارع الروضة
39 عباد الرحمن	195	-27	1995	مخيم بلاطة
40 سوق الخضار	205	-18	1995	سوق الخضار
41 الحميدية	210	-13.5	1995	السوق الأخضر
42 الناطور	185	-36	1996	رفيديا
43 أبو بكر الصديق	230	4.5	1996	بلاطة البلد
44 اعتدال الخزندار	230	4.5	1997	شارع القدس
45 بركات أبو زنت	230	4.5	1998	أول عسكر البلد
46 عسكر البلد الجديد	235	9	1998	عسكر البلد
47 سعد بن أبي وقاص	225	0	1999	شارع فطائر
48 رجال العامود الجديد	230	4.5	1999	خلة العامود
49 زيد بن ثابت	225	0	2000	شارع الجنيد/مفرق زواتا
50 أمهات المؤمنين	230	4.5	2002	الضاحية العليا
51 الإمام الشافعي	225	0	٢٠٠٤	الضاحية
52 الحسن بن علي	230	4.5	٢٠٠٤	شارع التعاون
53 الحسين بن علي	230	4.5	٢٠٠٤	شارع بيكر

الشكل رقم (٥)، يوضح بالرسم البياني مدى الانحراف في قِبَلَةِ مساجد مدينة نابلس (عينة الدراسة) ومدى التغيير الحاصل في هذا الانحراف بدءاً بالمساجد التاريخية القديمة (على اليمين) وانتهاءً بالمساجد الحديثة التي ما يزال بعضها قيد التنفيذ حتى تأريخ إعداد هذه الدراسة (على اليسار). مع ملاحظة أن القيم السالبة هي لانحراف القبلة لجهة الغرب والقيم الموجبة لانحرافها لجهة الشرق.

نستنتج من البيانات السابقة أن تسعة وعشرين مسجداً (٥٤.٧%) تنحرف قبيلتها تجاه الغرب بمعدل ٢٧.٢ درجة وان أربعة عشر مسجداً (٢٦.٤%) تنحرف قبيلتها تجاه الشرق بمعدل ٥.٨ درجة. وكذلك يتبين أن كافة المساجد التاريخية في البلدة القديمة يوجد انحراف في قبيلتها بمعدل ٢٦.٤ درجة باتجاه الغرب. أما المساجد التي بنيت خارج حدود البلدة القديمة بدءاً من عام ١٩٥٠ وحتى نهاية عام ١٩٩٦ والتي كانت ضمن عينة البحث والمقدر عددها بأربعة وثلاثين مسجداً فمعدل انحراف قبيلتها ١٧.١ درجة وأيضاً باتجاه الغرب. أما المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦، والمقدرة بأحد عشر مسجداً، فانحراف قبيلتها قليل وبمعدل ٣.٧ درجة ولكن باتجاه الشرق.

٥. أسباب انحراف القبلة في مساجد نابلس

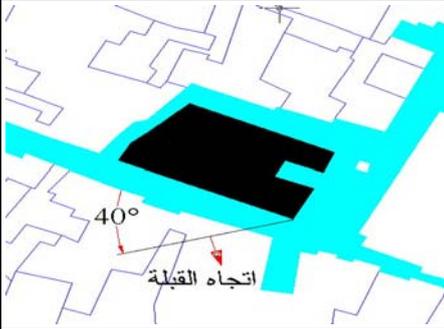
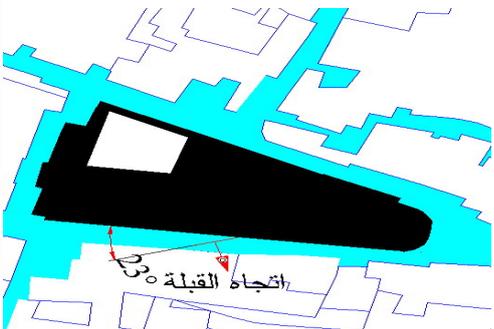
تكشف هذه البيانات ما يستوجب التأمل والبحث عن أسباب وجود مثل هذه القيم في انحراف القبلة وخصوصاً في المساجد القديمة التي من المفروض أنها واكبت الحضارة الإسلامية، وما عرف عنها من تقدم علمي حينها، وخصوصاً في مجالات الفلك، وما عرف عن فراسة العربي ومقدرته في تحديد المواقع والاتجاهات، وخصوصاً في ترحاله اليومي في الصحارى مستخدماً النجوم والكواكب، بالإضافة إلى ما اخترعه العرب المسلمون من أجهزة لضبط الوقت وتحديد الأماكن والاتجاهات مثل جهاز الإسطرلاب. أضف إلى ذلك ما عرف عن مدينة نابلس من تدين أهلها، وحبهم للعلم والعلماء. كل هذا يدعونا للبحث في تحديد أسباب الانحراف الكبير في قبلة مساجدها، وفي حال افتراض أن أهلها كانوا على علم باتجاه القبلة الصحيح، فما هي أسباب عدم قيامهم بأي تصحيح لخطوط القبلة أو جدرانها في مساجدهم؟

١.٥ أسباب انحراف القبلة في المساجد التاريخية

المساجد التاريخية هي المساجد التي وجدت داخل البلدة القديمة. وهي تسع مساجد: المسجد الصلاحي الكبير، ومسجد الحنبلي، ومسجد البيك، ومسجد الساطون، ومسجد الخضراء، ومسجد التينة، ومسجد النصر، ومسجد الخضر، ومسجد الأنبياء. وجميع هذه المساجد يوجد انحراف كبير نسبياً بقبيلتها كما تم توضيحه بجدول رقم (١) وبالرسم البياني في الشكل رقم (٥). فما هي أسباب هذا الانحراف:

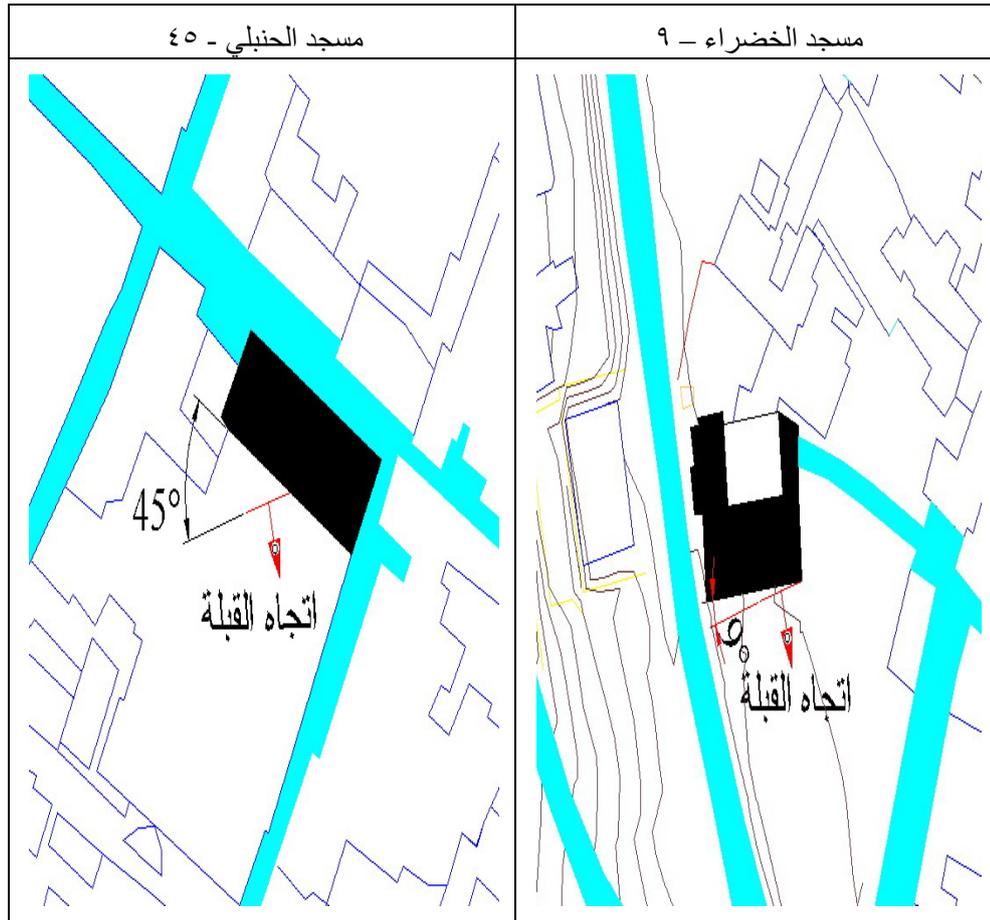
١.١.٥ غالبية المساجد التاريخية لم تبن مساجد ابتداءً، وإنما حولت من مبان دينية أو عامة تابعة لأديان وحضارات قديمة بعد أن دخل أهل مدينة نابلس في الإسلام. وفيما يلي سرد سريع لقصة بناء كل من هذه المساجد التاريخية منذ تأسيسها ككنائس رومانية أو بيزنطية وحتى تحويلها لمساجد:

١. الجامع الكبير وهو أكبر هذه المساجد وأقدمها، أقيم على مرحلتين، القسم الغربي كان بازيليكا بيزنطية، بناها الإمبراطور جستنيون في القرن السادس الميلادي (بيشاوي، ١٩٨٤)، والقسم الشرقي منه أضيف سنة ١١٦٧ م أيام الصليبيين حينما أمر الملك الصليبي المريك (Almaric) بمنح كنيسة القيامة بالقدس أرضاً في نابلس لإقامة كنيسة عليها سميت بكنيسة البعث، حولها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ إلى المسجد الصلاحي الكبير (كليون، ١٩٩٨، ص ١٥، ٢٥، ٤٣).
٢. مسجد الحنبلي كان بازيليكا رومانية أو كنيسة بيزنطية صغيرة (كليون، ١٩٩٨، ص ٩١).
٣. مساجد النصر والبيك والخضراء فأصلها كنائس صليبية، حولها الأيوبيون إلى مساجد (كليون، ١٩٩٨، ص ٧٤). وفي رواية ضعفها بعض الباحثين، أن مسجد الخضراء كان كنيسة للسامريين. أما مسجد النصر ببنائه الحالي فهو حديث نسبياً بناه المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٣٥ م بعد أن تهدمت الكنيسة خاصته بزلزال سنة ١٩٢٧ م.
٤. مسجد الأنبياء، أصله مشهد تاريخي لأبناء النبي يعقوب عليه السلام، في العهد المملوكي بني فوق قبورهم غرف مقبية، حولت في سنة ١٧٧٧ م بالعهد العثماني لمسجد (كليون، ١٩٩٨، ص ١٢٦-١٢٧).
٥. مسجد الساطون والتينة هما المسجدان التاريخيان الوحيدان اللذان ورد أنهما بنيا كمساجد. الساطون يعود بناؤه لعهد الخليفة عمر بن الخطاب. أما مسجد التينة فيعود بناؤه إلى بداية الحكم العثماني لمدينة نابلس في القرن السادس عشر الميلادي (كليون، ١٩٩٨، ص ١٣٣). أما مسجد الخضراء فهو حديث نسبياً، فقد بناه السيدان أمين وبدوي عاشور سنة ١٨٩١ م (كليون، ١٩٩٨، ص ١٣٥).
- ٥.١.٥ الموقع العمراني لهذه المساجد وخاصة الواقعة شمال الطرق الرئيسية في البلدة القديمة فرض عليها اتجاه محدد لجدار القبلة مواز لهذه الطرق. أضف إلى ذلك أن التخطيط الأساسي لمدينة نابلس هو روماني فلم يكن لاتجاه القبلة أي أثر لتوجيه القصبات الرئيسية في المدينة، وإنما تأثرت بتوجيه الكنائس حيث إن الاتجاه من الغرب إلى الشرق هو أساس توجيه المذابح فيها. ومن هنا وجد هذا الانحراف الكبير بعد تحويل هذه الكنائس إلى مساجد. الشكل رقم (٦) التالي يوضح اثر موقع كل مسجد تاريخي على اتجاه قبلته مع توضيح مدى الانحراف بالدرجات.

مسجد الأنبياء - ٣٦ درجة قديما ١٠ درجات حاليا	مسجد النصر - ٤٠ درجة
	
مسجد التينة - ٢٣ درجة	مسجد البيك - ٤٤ درجة
	
المسجد الكبير - ٢٣ درجة	مسجد الساطون - ٣٧ درجة
	

شكل (٦): يبين اثر الموقع العمراني للمساجد التاريخية ذات جدار قبلة محاذي لقصبات رئيسية على زاوية الانحراف عن القبلة بالدرجات (الباحث).

أما في حالتي مسجد الخضراء والحنبلي، فنلاحظ أن جدار القبلة فيهما بعيد عن القصبات الرئيسية، ومع ذلك فقد وجد بهما انحراف ولكن بشكل متفاوت كما هو واضح بمخطط الشكل رقم (٧). إن وضع المسجدين على هذا النحو يجعل إمكانية إحداث أي إصلاح في قبليتهما عملية سهلة. أما في حالة مسجد الحنبلي، فانحرافه كبير، فإذا تم الاتفاق مع أصحاب العقارات الملاصقة، فنظريا يمكن تعديل جدار القبلة للاتجاه الصحيح. أما في حالة مسجد الخضراء فوضعه أسهل حيث إن بحر فراغاته الداخلية كبير، وانحرافه قليل نسبيا (تسع درجات للشرق) فلا داعي لهدم وإعادة بناء جدار قبلته وإنما إعادة ضبط خطوط القبلة بالاتجاه الصحيح قد تكون كافية.

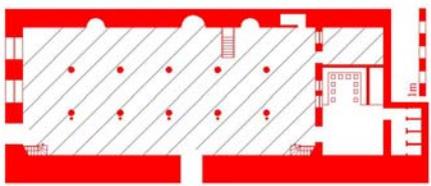
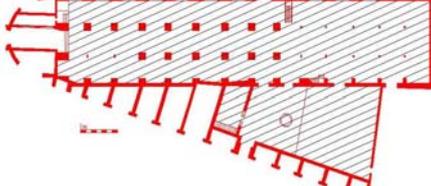
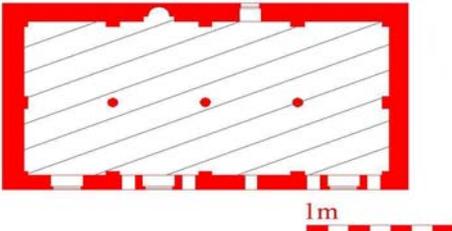
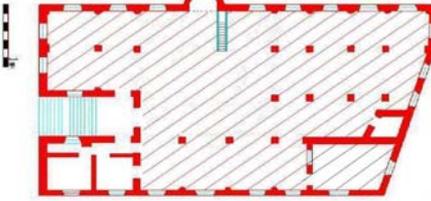
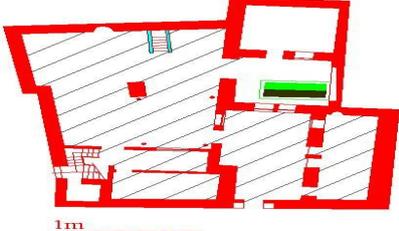
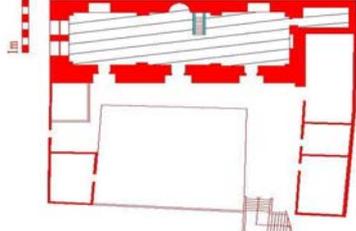
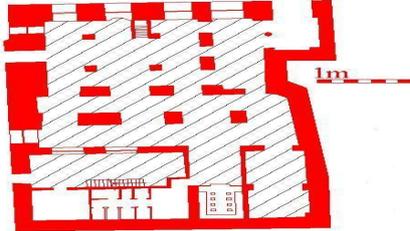
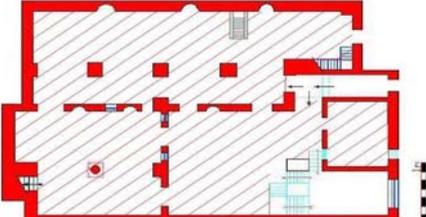


شكل (٧): يبين المساجد ذات جدار القبلة البعيد عن القصبات الرئيسية (الباحث).

لذا فالموقع العمراني للمساجد التاريخية هذه أضاف عقبة يصعب معها تصحيح جدار القبلة. والدليل على ذلك ما حصل في حالة مسجد النصر. فقد هدم بناؤه التاريخي في زلزال سنة ١٩٢٧ ميلادية، مما أتاح فرصة مواتية لإصلاح انحراف قبلته ولكن كون جدار القبلة فيه موازياً للقبلة الرئيسية في البلدة القديمة جعل من الصعوبة بمكان إحداث أي تغيير على اتجاهه المنحرف بست وثلاثين درجة. وكون المسجد محاطاً بالشوارع من الأربع جهات ولصغر مساحة الأرض المقام عليها فقد كان تحريك البناء ولفه كله صعباً جداً، انظر شكل رقم (٦).

٣.١.٥ في حال الافتراض أن أهالي المدينة كانوا على علم بالاتجاه الصحيح، فقد يعود عدم تصحيحهم لاتجاه القبلة فيها ما تلميه طبيعة البناء في غالبية هذه المساجد فجدرانها سميكة وفراغاتها الداخلية ضيقة إلى حد ما، بحيث تعج هذه القاعات بعدد كبير من الأعمدة الضخمة، يصعب معها عمل أي تحويل لخطوط الصلاة لتلائم اتجاه القبلة الصحيح، مع الحفاظ على صفوف طويلة، حيث انه من الملاحظ أن جميع قاعات الصلاة بوضعها الحالي تمتاز بصفوفها الطويلة، لما لها من ميزة في زيادة عدد المصلين في الصفين الأول والثاني كما تم توضيحه في البند رقم (٣). ولكن في حال تم تصحيح القبلة فستصبح هذه صفوف قصيرة ومتقطعة، فتصبح الصلاة في هذه الحالة في حكم المكروه لما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يصلي المؤمنون بين السواري عند السعة بسبب قطع الصفوف ولا تكره عند الضيق. فعن أنس قال: كنا ننهي عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها". رواه الحاكم وصححه (سابق، ١٩٧٣، ج ١، ص ٢٥٣).

انظر مخططات المساجد التاريخية الموضحة في الشكل رقم (٦) وما سيطرتب على صفوف الصلاة من قصر في الطول وخصوصاً في الصفوف الأولى مما سيحرم الكثير من المصلين أجر الصلاة فيها. أضف إلى ذلك تقطع غالبية هذه الصفوف في كل من حالي السعة والضيق، حسب عدد المصلين، فتكثر أعدادهم في صلوات الجمع والأعياد وفي شهر رمضان والمناسبات الإسلامية وتخف نسبياً في غيرها من الأوقات، علماً أن غالبية هذه المساجد تقع في قلب البلدة القديمة بالقرب من السوق المركزي الممتلئ بالناس دائماً مما يجبر الناس على الصلاة بين السواري، فتدخل في دائرة الكراهة. هذا إذا ما تغاضينا عن التشتت النفسي للمصلين في هذه الحالة وعدم الطمأنينة مما يفسد الخشوع أثناء الصلاة. يوضح الشكل رقم (٨) خطوط الصلاة باتجاه القبلة الصحيحة وما يؤول إليه حال صفوف الصلاة في هذه الحالة، ففي معظم المساجد الوضع غير مشجع، وأفضل الأحوال هي حالة مسجد الخضراء، حيث تخلو قاعة الصلاة من الأعمدة ونسبة الانحراف فيها قليلة نسبياً (تسع درجات)، مما يجعل تصحيح القبلة أمراً ميسوراً.

<p>المسجد الحنبلي - ٤٥ درجة</p> 	<p>المسجد الكبير - ٢٣ درجة</p> 
<p>مسجد التينة - ٢٢.٥ درجة</p> 	<p>مسجد النصر - ٤٠</p> 
<p>مسجد الأنبياء - ٣٦ درجة</p> 	<p>مسجد الخضراء - ٩ درجة</p> 
<p>مسجد البيك - ٤٥ درجة</p> 	<p>مسجد الساطون - ٣٧ درجة</p> 

شكل (٨): يبين خطوط القبلة الصحيحة وزاوية انحرافها عن جدار القبلة، كما يبين أثر الأعمدة وضخامتها في صفوف الصلاة في المساجد التاريخية (رفع طلبة قسم الهندسة المعمارية / جامعة النجاح الوطنية- بتصريف الباحث)

٢.٥ أسباب انحراف القبلة في المساجد الحديثة

يقصد هنا بالمساجد الحديثة تلك التي بنيت خارج حدود البلدة القديمة لمدينة نابلس منذ خمسينيات القرن الماضي. ومن بيانات الجدول رقم (١) والرسم البياني الموضح في الشكل رقم (٥) يلاحظ وجود انحراف عام في جميع هذه المساجد بمعدل اثنتي عشرة درجة نحو الغرب. وكما أسلفت الحديث في البند رقم (٤)، فإن هذه المساجد تقسم إلى قسمين؛ المساجد التي بنيت حتى نهاية عام ١٩٩٦، تنحرف قبلتها بمعدل ١٧.١ درجة باتجاه الغرب، أما المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦، فانحراف قبلتها قليل وبمعدل ٣.٧ درجة باتجاه الشرق. ولمعرفة أسباب وجود هذا الانحراف بالقبلة في هذه المساجد لا بد أولاً من معرفة الكيفية التي تمت عملية إنشاء هذه المساجد لتتمكن من تحديد مواطن الخلل التي تسببت في وجود عدد من الإشكالات الهندسية والمعمارية كان أحدها هذا الانحراف. في الغالب يقوم أهالي الأحياء التي بنيت بها هذه المساجد بتجميع أنفسهم وحشد كافة طاقاتهم المادية والبشرية للبدء بمشروع إنشاء المسجد خاصتهم، وذلك بإتباع الخطوات التالية:

١. تشكيل لجنة إعمار المسجد؛ وترخيصها من الدوائر الرسمية وخاصة دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية، لتصبح الجهة الرسمية الموكلة بكافة جوانب الإنشاء من العظم وحتى نهاية التشطيب وافتتاح المسجد رسمياً.
٢. البحث عن قطعة أرض في المنطقة تصلح لبناء المسجد باجتهاد لجنة الإعمار وأهل المنطقة، وغالبا ما يتم التبرع بالأرض من قبل أحد المحسنين أو بالعمل على طلب تخصيص قطعة أرض من بلدية نابلس تكون مفروزة في المخطط الهيكلي للمدينة للاستعمال كمرافق عامة، أو يتم تنظيمها كذلك لاحقاً.
٣. البدء بعمل المخططات الهندسية من قبل مهندسي المدينة، أو من قبل أي ممن عمل بقطاع البناء والهندسة من حملة شهادات الدبلوم في الرسم الهندسي أو المساحة أو مراقبة البناء وخلاف ذلك. وقيماً كانت المخططات الهندسية تتألف فقط من مخططات معمارية وإنشائية وبشكل جزئي ومنقوص بحيث يتم استكمالها عملياً أثناء التنفيذ. هذا للمساجد وغيرها من الأبنية على اختلاف استخداماتها. وفي حال تم تقديم الأرض من قبل البلدية، ففي الغالب يقوم طاقمها الهندسي بعمل المخططات اللازمة، بالتنسيق مع أعضاء لجنة الإعمار.
٤. بعد ذلك، أو بشكل متزامن مع إعداد المخططات، يتم البدء بجمع التبرعات المادية والعينية لتغطية نفقات الإنشاء، بعد التنسيق مع دائرة الأوقاف للسماح للجنة الإعمار بجمع التبرعات من مساجد المدينة و من خارجها إذا لزم الأمر. وقد يقوم احد أعيان البلد بالتبرع بالإنشاء كاملاً كما حدث في مسجد الحاج نمر النابلسي، ومسجد الحاج معزوز المصري، ومسجد أمين أبو زنت، وبركات أبو زنت، وغيرها الكثير. وغالبا ما يتم تسمية المسجد باسم هذا المتبرع، انظر قائمة أسماء المساجد المبينة في الجدول رقم (١). كما انه من الممكن أن تكون التبرعات جزئية بشكل نقدي كالتبرع بتكاليف جزء من أجزاء المشروع كطابق أو جزء من الطابق، كالتبرع بتكاليف صبة سقف أو قبة أو مؤذنة أو ما شابه ذلك. وقد يكون

التبرع بشكل عيني، مثل التبرع بمواد بناء من اسمنت أو حجر أو حديد أو خلافة. وتستمر هذه العملية حتى الانتهاء من تنفيذ العظم وتكرر أيضا حتى نهاية التشطيب.

٥. وفي العادة يشرع بالتنفيذ عندما يتم جمع مبلغ يكفي لإنجاز مرحلة معينة من البناء، ومنذ هذه اللحظة تبدأ وجهات النظر الشخصية لأعضاء لجنة الإعمار واجتهادا تهم الذاتية بالانعكاس على ملامح المشروع وعناصره المعمارية وحتى على عناصره الإنشائية، في بعض الأحيان، وقد تبني على علم أو بغير علم، وقد تكون بتنسيق مع مهندس أو مراقب أو بدون ذلك. وقد تستمر هذه العملية لأشهر أو لسنوات حسب حجم المشروع إلى أن يتم الانتهاء من البناء، ومن ثم افتتاح المسجد.

وقد تكرر هذا السيناريو في أغلب مساجد المدينة مما انعكس سلبا على عمارة المساجد في المدينة، والتي هي بحد ذاتها موضوع كبير بحاجة إلى بحث منفصل لا داعي للتفصيل في جوانبه الآن لكيلا نخرج عن موضوع البحث في قبلة هذه المساجد والذي يعد جزئية من عمارة المساجد في مدينة نابلس. وبعد أن تم التوضيح للقارئ الكريم الكيفية التي بنيت بها مساجد مدينة نابلس، والتي تتكرر في اعتقادي، في كافة المدن الفلسطينية، لا بد الآن من العمل على تحديد أسباب وجود الانحراف في قبلة هذه المساجد:

١.٢.٥ **التقليد وعدم التحقق:** وذلك في إتباع اتجاه القبلة من المساجد القريبة دون العمل على التحقق من مدى صحة الاتجاه غير منتهين أصلا إلى أنه قد يكون هناك مشكلة في هذا الأمر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما حدث لقبلة كل من مساجد الحاج نمر النابلسي والحاجة عفيفة ملحس وخالد بن الوليد القريبة من بعضها ولها القيمة نفسها لانحراف القبلة وهي (٣١.٥ درجة) نحو الغرب، انظر جدول رقم (١). فمن المرجح أن مسجد الأنبياء هو المرجع الذي تم تقليده في قبيلتهم، وهو أقرب مسجد تاريخي إليهم وله قيمة انحراف تقارب قيمهم (٣٦ درجة) نحو الغرب.

٢.٢.٥ **غياب الدور التخطيطي للبلدية:** من المعلوم أن مجلس بلدية نابلس يعود إلى سنة ١٨٦٨ م. وهو من أقدم المجالس في المنطقة، وأول مخطط هيكل للمدينة يعود لفترة الانتداب الإنجليزي، حيث تم عمل تصوير جوي سنة ١٩٣٦، وآخر سنة ١٩٤٤، كما تم عمل نظام البناء واستخدام الأراضي في تلك الفترة. ورغم كل هذا فلا تزال المدينة تعاني من العجز والقصور في الجانب التخطيطي والتنظيمي في تخصيص قطع أراضي لبناء المساجد، بحيث تكون نابعة من دراسة حقيقية لاحتياجات السكان من حيث الموقع ومساحة الأرض وطبيعتها الطبوغرافية وشكلها الهندسي المناسب للمساجد. فغالبية مساجد المدينة بنيت بناء على طلب السكان على قطع في الغالب سكنية الاستخدام، صغيرة المساحة، وذات شكل هندسي غير مناسب، مما أفقد مساجد المدينة أن يكون لها عمارة بمعنى الكلمة فالمواصفات السلبية الكثيرة سالفة الذكر تشكل عقبات في وجه الإبداع المعماري لهذه المساجد.

٣.٢.٥ **قصور الدور التنظيمي للبلدية:** إن المتتبع لمساجد المدينة يلاحظ أن غالبيتها بنيت على قطع أراض غير مناسبة للمساجد من حيث الموقع، وصغر مساحتها، وعدم انتظام شكلها الهندسي، مما يلجئ لجان الإعمار إلى مخالفة قوانين البناء من أجل تحسين الوضع الداخلي في

المسجد، مستغلين الحصانة الدينية للمسجد، كونه لا يخضع عرفاً للعقوبات التنظيمية من الغرامات المالية أو الهدم مما ينشئ ضياعاً تنظيمياً وخللاً ميدانياً قد يفسد المخططات التنظيمية للمنطقة إذا لم يتم ضبطه، فكم شارع تم تعديله بعد بناء مسجد خصوصاً في الضواحي الجديدة للمدينة. كل هذا دعا بعض المواطنين إلى استغلال نقطة الضعف في الجانب التنظيمي هذه لإنقاذ قطع أراضٍ خاصة بهم من أن تصادر وتضم لحرم شارع مجاور إلى المسارعة للبناء فيها ثم يعمدوا إلى إضافة طابق يجعلوه مسجداً فيأخذ بناؤهم المخالف هذا وضعا مميزاً تجمد به العقوبات التنظيمية. والنتيجة بناء مسجد يعجز بالمشاكل الهندسية من أهمها مشكلة الانحراف في القبلة.

٤.٢.٥ غياب الرقابة الشرعية: كان الدور الأساسي لمديرية الأوقاف والشئون الإسلامية هو ترخيص لجان الإعمار وتسهيل مهام جمع التبرعات وضبطها، ولم يكن لهم أي دور في التخطيط الهندسي للمسجد إلا بعد الانتهاء من التنفيذ، وافتتاح المسجد رسمياً والصلاة فيه. وقد يبقى المسجد تحت رعاية لجنة الإعمار أو لجنة المسجد الأهلية دون أن يسلم لمديرية الأوقاف ويقوم الأهالي بتعيين إمام وأذن له على نفقتهم الخاصة إلا إذا وجد متبرعون.

كان هذا هو الحال حتى سنة ١٩٩٥ عندما تم تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، وتم تحويل المديرية إلى وزارة الأوقاف والشئون الدينية. وبدأت قضية القبلة تأخذ أبعاداً جديدة بين المصلين في المدينة كما أسلفت في بداية البند رقم (٤) فقد وضعت بعض الضوابط والبنود التي تعمد وزارة الأوقاف بالتدقيق فيها، ومن بينها القبلة قبل البدء بترخيص المساجد الجديدة وتنفيذها، ويتم تقديم نسخ من المخططات لها من أجل هذه الغاية.

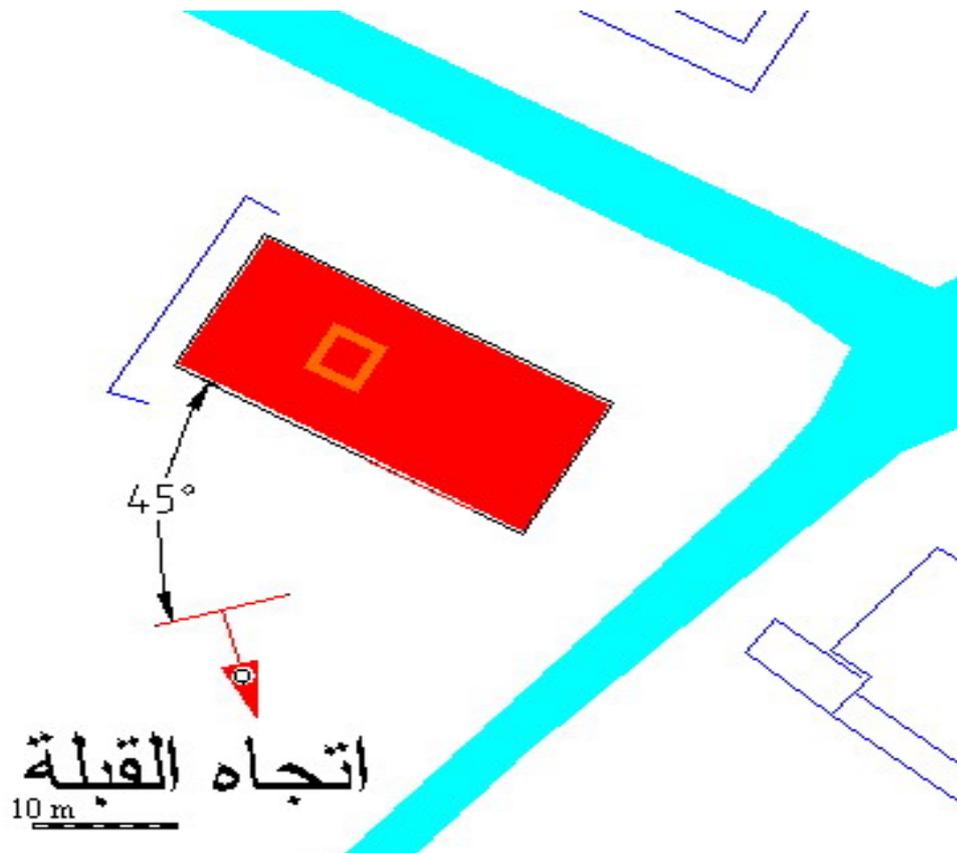
٦. حلول مقترحة لمشكلة القبلة في مساجد نابلس

تتركز الحلول المقترحة لهذه المشكلة حول ثلاثة محاور: المحور الأول، وهو الحل الجذري، ويتضمن تعديل جدار القبلة و صفوف الصلاة. والمحور الثاني، وهو الحل الاستراتيجي، ويتم به تعديل صفوف الصلاة مع الإبقاء على وضع المسجد كما هو دون تغيير. أما المحور الثالث، فهو حل وقائي يتضمن تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية على مشروعات بناء مساجد مستقبلية لمنع تكرار المشكلة فيها.

١.٦ تعديل جدار القبلة

يتضمن هذا المحور حلاً جذرياً للمشكلة بحيث يضمن صحة الصلاة، ويتم بموجبه هدم جدار القبلة القائم، وبناء جدار قبلة جديد بالاتجاه الصحيح نحو القبلة. وهذا الحل ممكن لأي مسجد يسمح الموقع العام له بعمل توسعة في جهة القبلة مما يستدعي توافر قطعة أرض فارغة من أي بناء أو مرور طريق فيها قد تغلق إذا تم هذا التعديل. ولقد تم اعتماد هذا التعديل في مسجد أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" في منطقة المساكن الشعبية الشرقية، حيث كان في قبلة هذا المسجد انحراف قدر بخمس وأربعين درجة، انظر الشكل رقم (٩). وبعد اكتشاف هذا الأمر اضطر المصلون في المرحلة الأولى إلى تعديل صفوف الصلاة بالاتجاه الصحيح. واستمروا

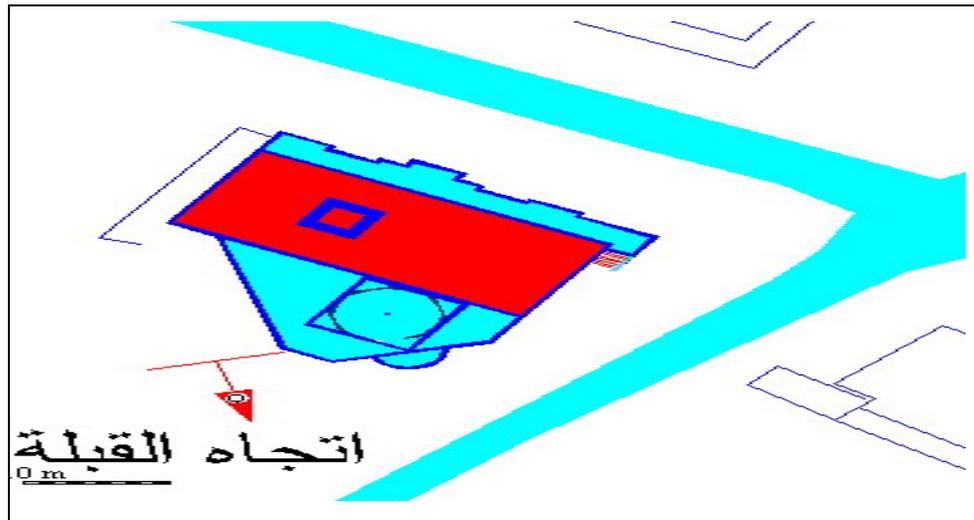
على هذه الحال قرابة السننتين، تم خلالهما الاتصال ببلدية نابلس وإعلامها بمشكلة انحراف القبلة وضرورة حلها بشكل جذري. وبما أن هذا المسجد من تصميم مهندسي البلدية وإشرافهم، فقد أبدوا تعاوننا ملحوظا للوصول إلى حل لهذه المشكلة، تمثل بتقديم قطعة أرض ملاصقة للمسجد من جهة القبلة تكفي لتعديل جدار القبلة، وتم تشكيل لجنة للإعمار تولت إعداد المخططات اللازمة وتجميع ما يلزم من الأموال، وتم بناء توسعة بشكل يشبه المثلث ملاصقة لجدار القبلة القديم الذي تم هدمه لاحقا، انظر الشكلين رقم (١٠) و(١١).



شكل (٩): موقع مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية وزاوية الانحراف في قبلته قبل التعديل. (المصدر: الباحث).



شكل (١٠): جدار القبلة الذي تم هدمه في مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية. (الباحث)



شكل (١١): مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية بعد التعديل (الباحث)

لكن مشكلة هذا الحل بتكاليفه المرتفعة، وعدم توافر متسع في الأراضي المجاورة من جهة القبلة في أغلب المساجد التي تقع داخل الأحياء السكنية المكتظة، وفي العديد من الحالات يوجد شارع أو طريق في جهة القبلة (انظر شكل رقم ٦ السابق) يجعل التعديل شبه مستحيل. وما تيسر لمسجد أبي بكر الصديق من الصعب أن يتيسر لبقية المساجد من قطعة الأرض المجاورة الخالية من المباني ومساحتها كبيرة وهي أيضا من أملاك البلدية، كل ذلك أسهم في إنجاح مشروع تعديل جدار القبلة، انظر شكل رقم (١٢). أضف إلى كل هذا أن المساجد التاريخية في البلدة القديمة لها قيمة تراثية وهي محمية حسب الاتفاقيات الدولية لحماية التراث الثقافي، وليس من السهل إجراء أي عملية هدم وإعادة بناء لجدار قبلتها. أضف إلى كل هذا طبيعة النسيج العمراني للبلدة القديمة التي تجعل هذا الحل هنا صعب التطبيق.



شكل (١٢): مسجد أبي بكر الصديق بعد انتهاء مشروع تعديل القبلة (المصدر: الباحث).

٢.٦ تعديل صفوف الصلاة

وهذا هو الحل الاستدراكي لهذه المشكلة، وهو ممكن من الناحية النظرية في أي مسجد به انحراف في جدار قبلته ولا يمكن هدم بنائه وإعادةه لأي سبب من الأسباب. وفي المساجد الحديثة قد يكون هذا الحل معقولا ومقبولا لدى غالبية المصلين، نظراً لسعة قاعاتها، وقلة عدد الأعمدة وصغر حجمها. وهذا ما تم تطبيقه في العديد من هذه المساجد، منها على سبيل المثال لا

الحصر: مسجد فاطمة الزهراء في المساكن الشعبية الغربية (المعروفة باسم منطقة المخفية) والذي كان به ٤٥ درجة، ومصلى الحميدية في السوق الأخضر الذي ما زال به ١٣.٥ درجة من الانحراف حتى بعد أن تم تعديل صفوف الصلاة فيه، ومسجد الناطور في رفيديا الذي كان به ٣٦ درجة، وكذلك مسجد طارق ابن زياد في منطقة شارع عشرة الذي كان به ٤١ درجة انحراف في جدار قبلته. والشكل رقم (١٣) يوضح تعديل صفوف الصلاة وبناء منبر ومحراب جديدين في زاوية جدار القبلة القائم في بعض المساجد الحديثة. أما المساجد القديمة فتطبيق هذا الحل أكثر صعوبة، وغالبا ما يلاقي معارضة كبيرة من المصلين كما تم تفصيله في البند 3.1.5. وهنا يبرز دور العلماء والوعاظ في ضرورة التوفيق بين المسلمين والعمل على إقناعهم في الدروس والمواعظ بأهمية استقبال القبلة بشكل صحيح كشرط



شكل (١٣): بعض الصور الداخلية في المساجد التي تم تعديل صفوف الصلاة بها، انظر المحراب والمنبر الخشبيين الذين تم إضافتهما إشعارا باتجاه القبلة الصحيح، علما أن المحراب والمنبر القديمين لا يزالان قائمان. (تصوير طالبة قسم الهندسة المعمارية / جامعة النجاح الوطنية / ٢٠٠٤).

من شروط صحة الصلاة، حتى يتم التوصل إلى اتفاق بين أهل المسجد على ضرورة التعديل خصوصاً إذا كانت درجة الانحراف كبيرة. وهذا ما حدث في مسجد الأنبياء الذي يعتبر من أهم المعالم التاريخية في مدينة نابلس، وطبيعة الفراغات الداخلية فيه صغيرة نوعاً ما وأعمدته ضخمة، وعلى الرغم من هذا فقد تم تعديل صفوف الصلاة فيه دون أي مشاكل أو خلاف بين المصلين فيه. ويمكن تطبيق هذا الحل بسهولة ويسر في مسجد الخضراء لما يمتاز به من كبر مساحة القاعات فيه وخلوها من الأعمدة الداخلية علاوة على قلة الانحراف في جدار قبلته (تسع درجات نحو جهة الغرب). أما في المساجد التاريخية الأخرى التي لم يتم تعديل صفوف الصلاة، حتى الآن، فالصلاة فيها بهذه الحال جائزة كما أفتى بذلك مجلس الفتوى الأعلى: "أما بالنسبة للمساجد القديمة فإن يرى أن تبقى على حالها كما هي دون تعديل، لأن أي تعديل في قبلتها سيؤدي إلى فتنة بين المسلمين وخاصة أن هذه المساجد بنيت منذ مئات السنين ولا داعي لإحداث تغيير فيها". (فتوى رقم ٤/٩٦/١٤) وبالقياس فإن هذه الفتوى تصلح أيضاً في بعض المساجد الحديثة إذا خشي وقوع الفتنة بين المسلمين. ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أنه لا بد من العمل على إقناع معارضي التعديل بشكل تدريجي وبطول النفس وبالحكمة والموعظة الحسنة حتى يتم هذا الأمر مهما طال الوقت، وهذا ما أكدته أساتذة كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية بالفتوى الموضحة في شكل رقم (١٤).

٣.٦ تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية

وهو الحل الوقائي لضمان عدم تكرار مشكلة القبلة في المساجد المنوي إقامتها مستقبلاً وذلك عن طريق سن القوانين والتشريعات الضرورية لتدقيق المخططات الهندسية قبل تنفيذ مشاريع المساجد الجديدة وأثناءها. وهذا هو دور وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بالتعاون مع بلدية نابلس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

An-Najah
National University
Faculty of Islamic Law (Shri'a)



جامعة النجاة الوطنية
كلية الشريعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اكتشف في أحد مساجد نابلس أن الناس يصلّون فيه راي غير القبلة الحقيقية فهل يجوز الاستمرار على ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أنه يجب على كل مسلم مصلّ أن يتّجه في صلاته نحو القبلة ، قال تعالى : " قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره " .

فمن كان من المصلّين في البيت الحرام فالواجب عليه استقبال الكعبة، ومن كان خارجه :

فالواجب عليه استقبال عين الكعبة أيضاً إن استطاع وإن لم يستطع فالواجب استقبال الجهة .

وأما الاستشهاد بالحديث الشريف: "ما بين المشرق والمغرب قبلة " ..

فهذا الاستشهاد بالحديث في غير محله، حيث إن المراد بالحديث من لم يعرف جهة القبلة بعد الاجتهاد والتحري . والعلم الحديث "البوصلة" يتّدد بدقة بالغة الجهة الصحيحة، والواجب على المصلّين أن يصلّوا إلى القبلة الصحيحة بناءً على اتجاه "البوصلة" .

والله تعالى أعلم .

رئيس قسم أصول الدين
د. محمد حافظ الشريعة

محمد حافظ صالح الشريعة
التوقيع

١٦ صفر الخير ١٤٢٢ هـ
الموافق ٢٠٠١/٥/٩ م

جامعة النجاة الوطنية
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

نابلس - ص ب ٧ أو ٧٠٧ هاتف ٧٠٧ / ٢٣٨١١١٣ / ٧ ، ٢٣٨١٥٨٤ ، ٢٣٧٠٠٤٢ ، ٢٣٧٠٠٩٠٩ ، فاكس ٢٣٨٧٩٨٢ ، ٢٣٧٠٠٩٠٩
Nablus , P.O.Box 7 or 707 , Tel. (972) 2370042 , 2386584 , 2381113/7 . Fax (972) (09) 2387982
Home Page: <http://www.najah.edu>

أستاذة كلية الشريعة

١- د. محمد زبدي

٢- د. محمد كوفي

٣- د. علي السلاوي

٤- د. محمد الشريعة

٥- د. نورا هادي

٦- د. علاء الدين

٧- د. محمد نوري

٨- د. عبد الفتاح

٩- د. غسان

١٠- د. محمد

شكل (١٤): فتوى أستاذة كلية الشريعة في جامعة النجاة الوطنية بخصوص قبلة المساجد في نابلس.

٧. النتائج والتوصيات

- استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة، وعلى المسلم أن يبذل كل ما في وسعه لتحديد الاتجاه الصحيح لقبلته، وأن يستقبلها في صلاته كلها سواء في بيته أو في عمله أو في أي مكان آخر. وهذه دعوة للتحقق من قبلة كل المساجد قديمها وحديثها وفي أي مكان وجدت.
- المسلمون السابقون كان عندهم العلم والأدوات اللازمة لتحديد الاتجاهات والأماكن بشكل عام وتحديد القبلة بشكل خاص، ومع ذلك لم يعملوا على تعديل قبلة المساجد القديمة في مدينة نابلس (منطقة البحث)، وهذا ليس حجة علينا وان صلاتهم كانت صحيحة.
- على المصلين في أي مسجد يوجد به انحراف في قبلته، عمل كل ما في وسعهم لتعديل القبلة، إما بتعديل صفوف الصلاة في هذه المساجد، أو تعديل جدار القبلة إذا كان ذلك مستطاعاً. وكل ذلك بعد الاتفاق فيما بينهم على الحل الأمثل لمسجدهم ووفق الإمكانيات المتاحة.
- على كافة الوزارات والهيئات والمجالس البلدية والقروية العمل على سن وتطبيق القوانين التنظيمية التي تضمن صحة القبلة في كافة مشاريع بناء المساجد الجديدة، وكذلك تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية لضمان تنفيذ المخططات الهندسية على أرض الواقع للعمل على وضع حد لتفاقم مشكلة انحراف القبلة وعدم تكرارها.

٨. خلاصة الدراسة

تخلص هذه الدراسة إلى وجود انحراف كبير في اتجاه القبلة في عدد كبير من مساجد مدينة نابلس بدءاً من المساجد التاريخية وانتهاءً بالمساجد التي بنيت قبل سنة ١٩٩٦ ميلادية. حيث ظهرت مشكلة القبلة في مدينة نابلس بشكل خاص بعد أن أحضر حجاج بيت الله الحرام سجاجيد صلاة بها بوصلة للقبلة. فشرع المصلون في عدد من بيوت الله في تصحيح صفوف الصلاة تاركين جدران القبلة في مساجدهم دون أي تغيير وذلك لعدم وجود إمكانية تعديل جدار القبلة إما لعدم توفر الأراضي اللازمة حسب موقع المسجد أو لوجود طريق في جهة القبلة أو لعدم توفر الأموال اللازمة لعمل التعديل المطلوب وتنفيذه. أما بالنسبة للمساجد التاريخية القديمة، فقد أوضحت الدراسة صعوبة إجراء أي تعديل في جدران القبلة لتلاصق المباني والنسيج العمراني في البلدة القديمة، أو لوجود طرق في جهة القبلة في العديد من المساجد، مما اضطر المصلون إلى العمل على تعديل صفوف الصلاة في مسجد واحد حتى الآن، حيث لم تلق هذه المحاولات القبول لدى كثير من المصلين، وذلك لوجود عدد كبير من الأعمدة الضخمة في غالبية هذه المساجد وقلة طول صفوف الصلاة وكثرة الانقطاع بها. وحيث إن استقبال القبلة ضرورة شرعية فمن الواجب العمل على إيجاد اتفاق بين المصلين بشكل تدريجي دون إحداث أي فتنة بينهم. وهذا هو دور العلماء والوعاظ ومسئولية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، إضافة إلى دورها المشترك مع كافة البلديات ووزارة الحكم المحلي في ضمان عدم تكرار مشكلة القبلة هذه عن طريق فرض القوانين التنظيمية لتدقيق اتجاه القبلة وضبطها في كل مشاريع بناء مساجد جديدة.

٩. المصادر والمراجع

- سابق، السيد، "فقه السنة"، ج١، بيروت - لبنان، (١٩٧٣).
- بيشاوي، سعيد، "نابلس ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، (١٩٨٤).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. "الجامع الصحيح المختصر"، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، (١٩٨٧).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، "سنن أبي داود"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر، (بدون تاريخ).
- كلبونة، عبد الله، "المساجد الأثرية في مدينة نابلس"، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للآثار الإسلامية، جامعة القدس، (١٩٩٨).
- Abdali, Kamal. "The Correct Qibla", Washington, USA, (1997).
- مواقع من الشبكة العالمية: تم تسجيلها في تشرين الثاني ٢٠٠٤:
- <http://explanation-guide.info/meaning/Kaaba.html>
- <http://moonsighting.com/qibla.html#moon>
- <http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/scince-17/scince.asp.htm>
- <http://i-cias.com/e.o/qibla.htm>
- <http://www.albayan.co.ae>
- <http://www.altshkeely.com/2003/index.html>
- <http://mmsec.com/mail.htm>